مقدمة المؤلف
شاعر الحب والحرية!

كان شاعر الحب والحرية كامل الشناوى، شاعرًا رومانسياً حالماً لم يتسع قلبه إلا للحب، ولم ير أمامه سوى الجمال، فعاش حياته معذباً بين خفقات قلبه العاشق، وضربات الواقع الأليم، حيث كانت معظم تجاربه العاطفية حباً من طرف واحد فكان يحب ويسهر الليل يتعذب ويناجى النجوم لعلها تهمس لحبيبته بمعاناة هذا العاشق المفتون المضنى!

وقد آعتصرت الحيرة ليالى هذا الشاعر العاشق، وعصفت بأمنه واستقراره فلم يعرف كامل الشناوى أضواء حياته إلا فى ضباب الليل الكثيف، ولم يبصر طريقه إلى الصباح إلا على أشلاء قدمين معذبتين، أضناها السرى فى دروب الليل ومتاهاته، لكن قلبه المحب العاشق المحروم كان فى نفس الوقت ينبض بحب وطنه مصر وينفعل بأحداثه وقضايا أمته العربية!

وأرى أن هناك عاملين نفسيين قد امتزجا فى نفس كامل وهما قلقه، وسخريته، فكانت سخريته الضاحكة الباكية، فعلى الرغم من أن أسلوبه فى الحياة كان أسلوب النكتة الحلوة أو المرة، ذلك الأسلوب الساخر الضاحك، فقد كان كامل الشناوى شاعر الدموع، فكان يبدو فى خلواته وكأنه دمعة كبيرة قد تحولت إلى إنسان يعذبه شعره ويعذبه حبه!

ويذكر صديقه الشاعر الكبير صالح جودت أنه بالرغم من قلة ما نظمه من قصائد خلال رحلته الشعرية منذ سنة ١٩٣٢ حتى سنة ١٩٦٥ فإن الكم ضاع عنده لحساب الكيف، لكنه استطاع بهذه الأبيات المحدودة أن

يدخل التاريخ، ويتربع على عرش الشعراء الرومانسيين فى هذا العصر.

وكان أول بيت فى ديوانه، هو بداية لنهاية أكبر حب فى حياته وأكثر معاناة له:

لا تكذبى إنى رأيتكما معا
ودعى البكاء فقد كرهت الأدمعا
ما أهون الدمع الجسور إذا جرى
من عين كاذبة فأنكر وادعى

ويرى البعض أن تمثال العذاب الذى أقامه أحمد رامى لكوكب الشرق أم كلثوم لا يقاس بوله كامل الشناوى بمحبوبته "المينيون" وعذاباته وشكوكه التى أرسلها على الملأ فى قصائده الغنائية وغير الغنائية التى انتزعها من شغاف قلبه وأحزان روحه وليالى عذابه الطويلة!

وإذا كان مفهوم الحب عند كامل الشناوى يرتبط بعشقه لليل وظاهرة الخيانة التى تعتبر أول خيط من خيوط مأساة حبه، إنه يحس بتمزق نفسى حين يجلس مع حبيبته الراقصة "روز"فى الكبارية محاصراً بعشرات من عشاقها والمعجبين بها، فهو لا يحس بالقرب منها إلا جراحاً:

كنت ألقاك على البعد
فألقى فيك أحلامى وروحى
صرت فى قربى ولا ألقاك
لا ألقاك إلا فى جروحى

ويتفجر ذلك الصراع حمماً بركانية ثائرة، وصرخات عاطفية ملتاعة فى قصيدة «الخطايا» وفيها تبدو ثورة الرومانسيين الحزينة:

آه منهـــا.. أنـا لـم أدرك مـــــــداهـا

آه منـــى... هـى لـم تـدرك مـــــــدايـا

حطمـــتنى مـــثلمـــا حطمـــتـــهـــا

فـــــهى منى وأنـا منـهـــــا شظايـا

ولكن شظايا الحب المتطايرة تمزق نفسه، وتنفذ إلى قلبه سهام حيرة وقلق، ويحاول بعد ذلك ان يتسلى بحب حسناء "الكافيتريا" وغيرها... ولكن جرح الحبيبة الهاجرة كان غائراً فى أعماقه.

إنه فى النهاية ثائر على الوجود، هائم بالعدم، رافض ليوم مُولده فى ساعات يأسه وقنوطه، وإخفاقه فى التواصل مع من يحبها ويرتل فى محرابها أناشيد الحب والغزل والهيام بلا جدوى حتى أنه يرى أنه ضائع ما بين الحان والمعبد:

ضـاق بى مـعـبـــدى

وضـــــاقت حـــــانى

لا صـــــلاتى تجـــــدى

ولا أحـــــــــــانى

ومشكلة كامل الشناوى مع الكتابة أنه كان يعيش حياته-ويرشف كل قطرة فيها أكثر مما كان يكتبها ولذلك كانت أعماله الشعرية والنثرية قليلة لا تناسب الفترة الزمنية الطويلة نسبياً منذ بدأ يكتب فى مطالع الثلاثينيات من القرن العشرين حتى رحيله فى ٣٠ نوفمبر ١٩٦٥، ومعظم ما كتبه جمع فى عدة كتب من الصحف والمجلات التى كان يكتب فيها نشرت بعد رحيلة منها: بين الحياة والموت، اعترافات أبى نواس، لقاء

معهم، عرفت عبد الوهاب، ساعات، الذين أحبوا أمى، وبخلاف رسائله العاطفية المخطوطة التى جمعها شقيقه الشاعر مأمون الشناوى ونشرها بعد رحيله تحت عنوان "حبيبتى" وبالطبع ديوانه الوحيد «لا تكذبى».

* * *

كان كامل الشناوى يرتشف الحياة قطرة قطرة، فكان يثأر من الزمن بالسهر كل ليلة حتى مطلع الفجر، حتى يحتمى من الموت والوحدة وسط الناس بالصخب والمرح فى سهرات مليئة بالمقالب والضحكات تمد خلاله الموائد العامرة ويسيل الشراب أنهاراً حتى لو أثقلته ديون البنوك لأنه كان يرى أن «عمرى مثل ديونى.. أدفعه على أقساط... فى كل سنة أسدد اثنى عشر قسطاً» وهكذا كان إحساسه الحاد بالزمن لأنه كان يعشق الحياة..

وقد عاش كامل الشناوى حياته راهباً فى محراب الجمال، فعشق المرأة روحاً وجسداً وكان يردد «إن ولعى بالجمال لا يقف عند حد... فأنا أحب الجمال فى الطبيعة، والفن، والأخلاق، والمرأة. وهذه الأشياء تعبر بصدق عن جمالها... أما المرأة فهى وحدها القادرة على التعبير عن الجمال باغراء! والصدق يعطينى صورة مستقيمة للجمال، والإغراء يعطينى صورة ملتوية... ولكن هذا الالتواء يشدنى من مشاعرى، ويلوينى معه"!

"بين الناس من يسمى هذه التجربة حباً، وبينهم من يسميها وهماً... ولقد عشت التجربة أياماً، ولا أدرى إن كنت أحب... أو كنت أتوهم"

وهكذا عاش كامل الشناوى حياته كالفراشة التى تحوم حول الضوء... حتى أحرقته هذه النار وحطمت قلبه، وحولته إلى شظايا!

* * *

وبعد، فقد حاولت فى هذا الكتاب عن كامل الشناوى شاعر الحب

والحرمان، أن أقدم سرائر قلبه، وأسرار روحه وأبرز الملامح الإنسانية والفنية لحياته وأدبه، ولاأزعم أننى قلت كل شئ عن كامل الشناوى أديباً وإنساناً ولكنى حاولت الاقتراب من سيرته وأدبه ومن محراب الجمال الذى عاش فى حماه يرتل له أجمل أغاريد الحب والجمال ثم احترق كالفراشة وسط اللهب.

وإذا كان كامل الشناوى قد عرف بأنه شاعر الحب والحرمان، فإنه أيضاً كان شاعر الثورة والحرية الذى تفاعل مع قضايا وطنه مصر وأحداث الأمه العربية، وشارك بشعره الثورى والوطنى مواكباً لكل الأحداث والقضايا الوطنية ويكفى أن نذكر أنه انفعل بأحداث المقاومة الشعبية فى منطقة قناة السويس فى مطلع الخمسينيات من القرن العشرين فغضب وثارت كبرياؤه المصرى فى قصيدة نارية قال فى مطلعها

أنت فى صمتك مرغم　　أنت فى حبك مكره

فتكلم وتألم　　وتعلم كيف تكره

ولحنها وسجلها الموسيقار محمد عبد الوهاب للإذاعة المصرية لكنها ظلت حبيسة حتى قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فأفرج عن الأنشودة لتصبح أنشودة الحرية هكذا:

كنت فى صمتك مرغم　　كنت فى حبك مكره

ومنذ ذلك الوقت اجتمعت فى قيثارة كامل الشناوى أوتار الحب والحرية، وأنغام همسات قلبه العاشق، وأناشيد الثورة والحرية لمصر والعروبة!

القاهرة أبريل ٢٠١١　　**محمد رضوان**